الرِّسَـــالة ١٤٢

كنْ مُستعِدًا لمُفاجَأة سَارّة

(Arabic - Be prepared for a joyful surprise.)

أحبّائِى.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **كن مُستعِدًا لمُفاجَأة سَارّة**

ومِنْ إنجيل لوقا الأصْحَاح الثانِى نقرَأ العَدَدَ الثالِثَ عَشَرَ:

"وَظهَرَ بَغتة مَعَ المَلاكِ جُمْهُورٌ مِنَ الجُنْدِ السّمَاوِىّ. مُسَبّحينَ اللهَ وقائِلينَ: المَجْدُ للهِ فِى الأعَالِى. وَعلى الأرْض السّلام. وبالنّاس المَسَرّة".[١]

إنّ المَرْءَ يَغْمُرُهُ فرَحٌ لا يُعَبّرُ عَنْهُ عِنْدَمَا يُفاجَأ بخَبَر سَارّ كانَ مُتلهفاً على سَمَاعِهِ. لذلِكَ نَحْنُ جَميعاً نحِبّ المُفاجَآتِ السّارّة. وفِى الكتابِ المقدّس جَاءَت نبُوّاتٌ عَديدَة. وكثيرُونَ وكثيراتٌ مِنْ أوْلادِ وبنَاتِ اللهِ عَاشُوا حَيَاتَهُمْ يتطلعُونَ بصَبْر إلى مَوَاعيدِ اللهِ التِى انتظرُوها بإيمَان ورَجَاءٍ وَاثِق. حتى جَاءَ الوَقتُ المُحَدّدُ مِن قبل الرّبِّ وتحققتْ تِلْكَ النبُوّاتُ. وحين فوجئوا بتحقيقِهَا استقبلوهَا بفرَح عَظيم ومَجّدُوا اللهَ. وقِصّة ميلادِ السّيِّدِ المَسيح وَهُو المَسيّا الذِى كانَ قدُومَهُ مُنتظراً عِنْدَ اليَهُودِ وجَاءَتْ بإنجيل لوقا بالتفصيل. كانَتْ كلهَا مُفاجَآتٍ سَارّة ليْسَ فقط لمَنْ سَمِعُوهَا وقتذاكَ. ولكنّهَا باقية وَستبقى سِرُّ الفرَح العَظيم لجَميع الشّعُوبِ. إلى أنْ يتحققُ الوَعْدُ الأخيرُ بأروع المُفاجَآتِ السّارّةِ وهُو مَجيءُ الرّبّ الثانِى لا كطفلٍ فِى مِزْوَدٍ. بلْ سَيَأتِى فِى مَجْدٍ وبَهَاءٍ لاختطافِ كنيستِهِ على السّحَابِ. إنّنَا نتطلعُ برَجَاءٍ وَطيدٍ وإيمَان مُستعِدّينَ وَمُنتظرينَ وطالبينَ سُرعَة مَجيءِ الرّبّ الثانِى. وفِى لحْظَةٍ فِى طرفةِ عَيْنٍ عِنْدَ البُوق الأخير سَنخْطفُ جَميعاً لمُلاقاةِ الرّبّ فِى الهَوَاءِ. وهكذا نكونُ كلّ حين مَعَ الرّبّ.[٢]

وإذا رَجعنَا إلى الكتابِ المقدّس نَجدُ أنّ رجَالَ وبناتِ اللهِ بالعَهْدِ القديم عَاشُوا ومَاتوا على رَجَاءِ مَجيءِ المَسيّا. فلقدْ جَاءَتْ بسفر إشَعيَاءِ النَبىّ هذِهِ النبوّة: "لأنّهُ يُولدُ لنَا ولدٌ ونعْطى ابناً وتكونُ الرّيَاسَة على كتفِهِ ويُدْعَى اسْمُهُ عَجيباً مُشيراً إلهاً قديراً أباً أبديّاً رَئيسَ السّلام". كانوا ينتظرُونَ قدُومَهُ ليُعيدَ العَلاقة المَفقودَة بَيْنَ الإنسَان وخَالِقِهِ. فقدْنَاهَا بتمَرّدِنَا على اللهِ وعِصْيَانِنَا. كانَ تدبيرُ اللهِ مُنذ الأزل هُو التكفيرُ عَن خَطايَا البَشريّةِ الضّالة. لذا أرْسلَ اللهُ الابنَ الوَحيدَ الذِى جَاءَ مُتجَسّداً. وقدْ أشَارَ إليْهِ يُوحَنّا المَعْمَدَانُ قائِلاً: "هُوذا حَملُ اللهِ الذِى يَرفعُ خَطيّة العَالم". وَمِنَ الأحْدَاثِ التِى ذكرَهَا لوقا البشيرُ فِى مُستهلّ إنجيلِهِ. نَجدُ ثلاثَ مُفاجَآتٍ سَارّةٍ فوجئَ بهَا سَامِعُوهَا.[٣]

المُفاجَأة السّارّة الأولى: كانتْ لكاهِن اسْمه زكريّا واسْم امْرأتِهِ أليصَابَات.. كانَ كلاهُمَا بَارِيْن أمَامَ اللهِ سَالكيْن فِى جَميع وَصَايَا الرّبّ وأحْكامِهِ بلا لوْم. ولمْ يكنْ لهُمَا وَلَدٌ إذ كانتْ أليصَابَاتُ عَاقِراً وكانَ كلاهُمَا متقدّميْن فِى أيّامِهِمَا. وبينمَا كانَ زكريّا فِى هَيكل الرّبّ وجُمْهُورُ الشّعْبِ يُصلوّنَ خَارجاً ظَهرَ لهُ مَلاكُ الرّبّ جَبْرائيلُ فلمّا رَآهُ زكريّا اضْطرَبَ وخَافَ. فقالَ لهُ المَلاكُ: "لا تخَفْ يَا زكريّا لأنّ طِلبتَكَ قدْ سُمِعَتْ وامْرأتُكَ أليصَابَات ستَلدُ ابناً وتسمّيهِ يُوحَنّا ويكونُ لكَ فرَحٌ وابتهَاجٌ وكثيرُونَ سيفرَحُونَ بولادَتِهِ". كانتْ طِلبَة زكريّا وأليصَابَات أنْ يكونَ لهُمَا ولدٌ رَفعَاهَا إلى اللهِ فِى شَبَابهمَا وَولى الشّبَابُ وجَاءَ المَشيبُ ثمّ حلتْ الشّيْخُوخَة. ومَا عَادَا يَطلبَان تِلْكَ الطِلبَة.[٤]

لمْ يكنْ فِى الحُسْبَان أنْ اللهَ يَنظرُ إلى طِلبَاتٍ عَفا عليْهَا الزّمَنُ ونَسيَهَا أصْحَابُهَا. لذلِكَ قالَ زكريّا للمَلاكِ: "كيْفَ أعْلمُ هذا؟. لأنّى أنَا شَيْخٌ وامْرَأتِى مُتقدّمَة فِى أيّامِهَا!". فاجَابَ المَلاكُ وقالَ لهُ: "أنَا جَبْرَائيلُ الوَاقفُ قدّامَ اللهِ وأرْسِلتُ لأكلِمَكَ وأبشّرَكَ بهذا. وهَا أنتَ تكونُ صَامِتاً ولا تقدِرُ أنْ تتكلمَ إلى اليَوْم الذِى يكونُ فيهِ هذا. لأنكَ لمْ تصدّقْ كلامِى الذِى سَيتمّ فِى وقتِهِ". لمْ يكنْ زكريّا مُستعِداً لسَمَاع المُفاجَأةِ السَارّةِ. لقدْ فقدَ كلّ مِنهُمَا رَجَاءَهُ فِى

---

[١] إنجيل لوقا ٢: ١٣ ، رسالة بطرس الرسول الثانية ٣: ١٢ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ١: ٣–٩، ورسالته الأولى إلى تسالونيكى ٤: ١٣–١٨، ورسالة بطرس الرسول الثانية ٣: ١٢

[٣] سفر إشعياء النبى ٩: ٦ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى ١: ١٢– ٢٢ ، إنجيل يوحنا ١: ٢٩

[٤] إنجيل لوقا ١: ٥ – ٢٥

مَولودٍ لهُمَا بَعْدَ أنْ تقدّمَتْ بهمَا الأيّامُ وحُسبَتْ أليصَابَات عَاقِراً. بكلّ تأكيدٍ كانتْ هذِهِ أمنيتهُمَا الغاليَة لسِنينَ عَديدَةٍ. وفِي وقتِهِ استجَابَ اللهُ لطِلبتِهمَا ورَزَقهُمَا بولدٍ هُو يُوحنّا المَعْمَدَان!. قدْ نصلى بلجَاجَةٍ إلى اللهِ مِنْ أجل أمْر مَا وتمْضِي السّنونُ بلا استجَابَةٍ وربما نفقدُ الرَجَاءَ كزكريّا. إنّ الدَرسَ الأولَ لِنتعلمَهُ: أنّ استجَابَة اللهِ لصَلواتِنَا قدْ يَطولُ عليْهَا الأمَدُ ولكنّهَا ستتحققُ فى وقتِها المُحَدّد مِنَ اللهِ. وبأكثرَ جداً مِمّا نَطلبُ أوْ نفتكِرُ. ففِي وَقتِهِ يُسْرِعُ بهِ.[1]

المُفاجَأة السّارّة الثانيَة: كانَتْ للقدّيسَةِ العَذرَاءَ مَرْيَم.. جَاءَهَا المَلاكُ جَبْرَائيلُ أيْضاً وقالَ لهَا: "سَلامٌ لكِ أيّتهَا المُنْعَمُ عليْهَا. الرّبّ مَعَكِ. مُبَارَكة أنْتِ فِي النّسَاءِ". فلمّا رَأتهُ اضْطربَتْ مِنْ كلامِهِ وفكرّتْ مَا عَسَى أنْ تكونَ هذِهِ التحيّة فقالَ لهَا المَلاكُ: "لا تخَافِي يَا مَرْيَمُ. لأنّكِ قدْ وَجَدْتِ نِعْمَة عِنْدَ اللهِ. وهَا أنْتِ ستَحْبلِينَ وَتلدِينَ ابناً وتسمّيْنَهُ يَسُوعَ. هذا يكونُ عَظيماً وابنَ العليّ يُدْعَى ويُعْطيهِ الرّبّ الإلهُ كرْسِي داوُدَ أبيهِ. ويَملِكُ على بَيْتِ يَعقوبَ إلى الأبَدِ ولا يكونُ لمُلْكِهِ نهَايَة". فقالتْ مَرْيَمُ للمَلاكِ: "كيفَ يكونُ هذا وأنَا لسْتُ أعْرِفُ رَجُلاً؟!". فأجَابَ المَلاكُ وقالَ لهَا: "الرّوحُ القدُسُ يَحِلّ عليْكِ. وقوّة العليّ تظللكِ فلذلِكَ أيْضاً القدّوسُ المَولودُ مِنكِ يُدْعَى ابنَ اللهِ. وهُوذا أليصَابَاتُ نَسيبتكِ هِي أيْضاً حُبلى بابن فِي شَيخُوخَتِهَا. وهذا هُو الشّهْرُ السّادِسُ لِتِلكَ المَدْعُوّةِ عَاقِراً. لأنّهُ ليْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِن لدَى اللهِ". فقالتْ مَرْيمُ: "هُوذا أنَا أمَة الرّبّ. لِيكنْ لِي كقوْلِكَ".[2]

كانَ حُلمُ كلّ وَاحِدَة مِنْ بنَاتِ إسْرَائيلَ أنْ تكونَ أمّاً للمَسيّا المُنتظر. وفوجئتْ مَرْيمُ بتِلكَ المُفاجَأةِ السّارّةِ. وحينَ قامَتْ القدّيسَة العَذرَاءُ بزيَارَةِ أليصَابَاتَ فِي مَدينَةِ يَهُوذا. حَدَثَ أنْ امتلأتْ أليصَابَاتَ مِنَ الرّوح القدُس لمّا سَمِعَتْ سَلامَ مَرْيَمَ. فصرَخَتْ بصوْتٍ عَظيم وقالتْ للقدّيسَةِ العَذرَاءَ: "مُبَارَكة أنْتِ فِي النّسَاءِ وَمُبَارَكَة ثمَرَة بطنِكِ.. فمِنْ أيْنَ لِي هذا أنْ تأتِي أمّ رَبِّي لِي؟. طوبَى للتِي آمَنَتْ أنْ يتِمّ مَا قيلَ لهَا مِنْ قبَل الرّبّ". فقالتْ مَرْيَمُ: "تعَظمُ نفسِي الرّبّ. وتبتهجُ رُوحِي باللهِ مُخلصِي". إنّ الدَرسَ الثانِي لِنتعلمَهُ: أنّهُ أحْيَاناً يَدُورُ فِي أذهَانِنَا سُؤالٌ كهذا: كيفَ يكونُ لنَا هذا؟. إنّ إجَابتهُ فيمَا قالهُ المَلاكُ لمَرْيَمَ العَذرَاءَ: "ليْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِن لدَى اللهِ".[3]

المُفاجَأة السّارّة الثالِثة: كانَتْ لرُعَاةٍ يَحْرسُونَ حِرَاسَاتِ الليل على رَعيّتِهِمْ فِي البَادِيةِ.. وإذا مَلاكُ الرّبّ وقفَ بهِمْ ومَجْدُ الرّبّ أضَاءَ حَولهُمْ فخَافوا خَوْفاً عَظيماً.. فقالَ لهُمْ المَلاكُ: "لا تخَافوا. فهَا أنَا أبَشّرُكمْ بفرَح عَظيم يكونُ لجَميع الشّعبِ. أنّهُ ولِدَ لكمْ اليَوْمَ فِي مَدينَةِ دَاوُدَ مُخَلصٌ هُو المَسيحُ الرّبّ. وهذِهِ لكمْ العَلامَة تجدُونَ طِفْلاً مُقمّطاً مُضْجَعاً فِي مِزْوَدٍ. وظهرَ بَغتَة مَعَ المَلاكِ جُمْهُورٌ مِنَ الجُنْدِ السّمَاوِيّ مُسَبّحينَ اللهَ وقائلينَ: المَجْدُ للهِ فِي الأعَالِي وعلى الأرْض السّلام وبالنّاس المَسَرّة. ولمّا مَضَتْ عَنْهُمْ المَلائِكة إلى السّمَاءِ قالَ الرّجَالُ الرّعَاة بَعْضُهُمْ لِبَعْض: لنَذهَبِ الآنَ إلى بَيْتِ لحْم. ونَنْظرُ هذا الأمْرَ الوَاقِعَ الذِي أعْلمَنَا بهِ الرّبّ".[4]

مَا أعْظمَهُ مِن امتيَاز أنْ يَحْمِلَ المَلاكُ الأخْبَارَ السّارّة لأمثال هؤلاءِ الرّعَاةِ البُسَطاءِ!. إنّ بَسَاطتَهُمْ هِي مُؤهِلهُمْ ليَستقبلوا إعْلانَاتٍ يأتِي بهَا مَلائِكة السّمَاءِ وليْسَ سِوَاهُمْ أجْدَرُ بهَا. يَا للعَظمَةِ ويَا للجَلال الذِي استمْتَعَ برُؤيتِهِ رُعَاة يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ الليل فِي البَادِيَةِ!. لقد أضَاءَ حَولهُمْ مَجْدُ الرّبّ وظهَرَ الجُنْدُ السّمَاوِيّ لهُمْ يهتفونَ بتسَابيحَ وأنَاشيدَ تنَاسِبُ البشَارَة العَظيمَة. إنّهَا مُفاجَآتٌ سّارّة تِلكَ التِي أعلنتهَا السّمَاءُ لنَا نَحْنُ البَشَر. نَتعلمُ مِنْهَا: أنّ الرّبّ يَستجيبُ فِي حينِهِ. وإنْ بَدَا لنَا أمْرٌ تحقيقهُ مُستحيلٌ فليْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِن لدَى اللهِ. والدَرْسُ الأخيرُ لِنتعلمَهُ: أنّ اختيارَ السّمَاءِ لا يقعُ إلا على مَنْ اتصفَ بِبَسَاطةِ القلبِ واتضَاع الرُوح. كالقدّيسَةِ العَذرَاء ورُعَاةِ البَادِيَةِ.[5]

عَزيزِى القارئ.. أدْعُوكَ كيْ تشتركَ مَعِي فِي تلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِيّ.. يَا سَامِعَ الصّلاةِ ومُستجيبَ الدّعَاءِ. هَاكَ قلبِى امْلأهُ بحُبكَ. وهَاكَ حَيَاتِى استلمْهَا وقدّسْهَا لكَ. أسْألكَ رَبِّى أنْ تعْملَ فِي دَاخِلِى بقوّةِ رّوحِكَ القدّوس لتطهرَنِى وتنقيَنِى مِنْ كلّ شَائبَةٍ. فمَسَرّة قلبى أنْ تجْعلَ مِنّى إنَاءً للكرَامَةِ نَافِعاً لخِدْمَتِكَ.. أرفعُ صَلاتِى فى اسْم يَسُوعَ البّار. وَاثِقاً فِي صِدْق وَعْدِكَ. يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالة أوْ غيْرهَا ستجدُ ذلكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] سفر التكوين ١٨: ١٢– ١٥، سفر صموئيل الأول ١: ٦– ١٨، سفر إشعياء ٦٠: ٢٢، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس٣: ٢٠
[2] إنجيل لوقا ١: ٢٦ – ٣٨
[3] إنجيل لوقا ١: ٣٩ – ٨٠
[4] إنجيل لوقا ٢: ٨ – ٢٠
[5] سفر المزامير ٩١: ١٤ ، رسالة يعقوب ٤: ٦ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ٥: ٥